العالم ذبابة .. حطت على أنفها

العالم ذبابة
حطت على أنفها

مجموعة قصصية

رحاب عثمان شنيب

العالم ذبابة .. حطت على أنفها

مجموعة قصصية

اسم الكاتبة: رحاب عثمان شنيب

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية

تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى

رقم الإيداع: ١٦٥٨١ / ٢٠١٨

طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة

إلى (بنغازي) رفيقة الحلم

لا أعرف أيهما موجع...

صديقي الذي لجأ إلى الموت حتى يسكن الوطن..

أم صديقي الذي لجأ إلى الحياة فابتعد عن الوطن؟!

حين يتسرب الوجع بداخلي..
لا يمكن أن يغفل عنكما..

عبد السلام المسماري[1]

مفتاح بوزيد[2]

قناصُ ذكراكما ماهرٌ، ولا يمل التصويب.

---

[1] محام وناشط سياسي وحقوقي وشاعر له ديوان باسم "مدن الخوف". . تم اغتياله في شهر رمضان يوم ٢٦ يوليو٢٠١٣ بعد صلاة الجمعة عند خروجه من المسجد.

[2] كاتب صحفي وناشط سياسي ورئيس تحرير صحيفة برنيق الصادرة من بنغازي.. تم اغتياله يوم ٢٧ مايو٢٠١٤ أمام إحدى المكتبات حين كان يوزع الصحيفة بنفسه.

سادنة البوح..

مكتظةٌ بالشجن..

سابحةٌ في دمي..

نزعتْ لثام الجرح عند شهقة صرختي..

مولعٌ بها رمادي..

فأحرقتني وهيّأت مَخْدَعها!

(الذبابة)

لم تنفع أي محاولةٍ لطرد الذبابة من السيارة.. فتحتُ النو افذ وقدت بسرعة.. هششتُ بيدي ولكن لا جدوى.. كان الجو حارًا وأكوام القمامةِ تتكدس في الشوارع.. مكيف السيارة معطل ولا مال يكفي لإصلاحه. . فالسيولة لا توجد بالمصارف.. و إيجار البيت بعد نزوحي أنهكني جدا..

أقفلتُ النافذةَ هربا من الر ائحةِ وتغاضيتُ عن بلادة الذبابة.

الطريق مزدحم جدًّا فالناس تكتظ أمام المصارف، وأنا بكل برود أمضي نحو القناة بعد أن تركتُ خمسة دنانير، كي تدبر زوجتي أمورها هذا اليوم بعد خطة لتقنين مصروفنا.

ما هي الأسئلة التي سيطرحونها؟ وماذا أجيب؟ ولماذا؟ وهل سألقي شعرا؟ وهل يجدي الشعر الآن؟..

تنبهني زوجتي بأن لا أتحدث في السياسية، ويكثر اتصال والدي طالبا إياي أن لا أعرض نفسي للخطر.. قائلا: "خليك في حالك"..

والذبابة لم تتركني وظلت تدور وتدور مثل الساسة، ولم أعرف ما الفرق بين بلادتهم وبلادة الذباب.. بل ربما كثر الذباب لأنهم كثروا.. يااااه قال والدي: "خليك في حالك".

ثمة شابٌ يقود سيارته بتهوّر، يحاول أن يتخطى السيارات، التي تسبقه يمضي يمينا وشمالا، وكان يمخر عباب الازدحام خلفي، بينما كانت سيارة الإسعاف خلفي مباشرة، حاولت أن أتسلق على الرصيف لأتيح لها المجال..

انتهز الفرصة عابرًا بجانبي مبتسما بابتسامة بليدة، وبينما صوت سيارة الإسعاف كان صاخبا؛ ظلّ الشاب البليد على نسقه ولم يبالِ وددت أن أصرخ و أقذفه بالشتائم لكنني سمعت نصيحة والدي: "خليك في حالك" بل الأحرى: دبّ الخوف إلى قلبي.

كانت المذيعة تتحدث عن الوطن وعن النضال وعن التضحية.. وزوجتي تقول: لا تتحدث في السياسة.. خرجتْ اليوم من المطبخ و أنا أهيأُ نفسي للخروج، والعجين يلتف حول يديها، وهي تلعن المسئولين والمنتهزين وتجار الحروب وتتحسبل على من كان سببًا في نقص دقيق القمح، ثم قالت: لا تتحدث في السياسة. ولم أعرف كيف أفرق بين الدقيق والسياسة، فقط قلت لها: انتبهي إلى الذبابة التي ستلتصق بالعجين، فشتمت ولعنت الذبابة وقالت: لا يمكنني أن أشتري مُبيدًا وليس معي سوى خمسة دنانير.

كنت عطشان جدّا، غير أنني استحيت أن أشرب كوب الماء المقدم، لنا أمام الشاشة، بينما الضيف الآخر كان يثرثر ويشرب.. لقد غيّر رأيه فلم يكن يتحدث هكذا سابقا.. رأيته يدور ويدور ويا للهول هناك ذبابة تدور وتدور، و أنا متعب جدًّا وعطشان والقصيدة التي قرأتها كانت عطشانة والأجوبة التي ذكرتها عطشانة أيضا،

والمذيعة لم تتوقف عن الدوران والضيف كذلك والذبابة أيضا.. كل شيء يدور ووالدي يقول: "خليك في حالك".. فقط كنت أريد أن أشرب.. يااااه انتهى البرنامج... أووووف،

سقطت الذبابة في كوب الماء!

(لا أحب البطيخ)

"العناد" هوما أربك السير في مفترق مستشفى ٧ أكتوبر وليس الزحام كما هي العادة دائما... الإشارة الضوئية مثلها مثلنا لا تعمل والرؤوس مقفلة.. لا أحد يقرّر أن يتنازل وربما هذا ما جعلنا في المنحدر.. فلو فكر المتشابكون أن خطوةً إلى الوراء هي خلاصهم وخلاصنا من سطوة الشمس والانتظار، لما انتظرنا.

مددتُ للشحاذ ما تيسّر فانهال عليّ بسيل من الأدعية آخرها: ربي يخليك لراجلك... ضحك زوجي قائلا: ضرني العطيب.

و إثر قصفه لي بهذه الكلمات هاجمته بمضادات الطيران: اللي بيده ربي يزيده.. ما حدش زرك "لا أحد يضغط عليك"..

(حتى كان كبار ضنانا، ما زال العياط ور انا) [١]..

(أنا تفاح أور اقه فوقه.. ..ماملي[٢] ماشي في شوقه)..

---

[١] أغنية شعبية تعني: وإذا كان أولادنا كبارا ما زال الناس تتحدث عنا.

[٢] ماملي: الكثير.

وبينما كنت أسدّد الرمية تلو الأخرى.. اشتممت رائحة دخان ظننتها بسبب اشتباكاتنا، ولكن على ما يبدو، إن الشاب في السيارة المجاورة كان يحرق داخله تضامنا مع حريقنا الكبير.

مازدا "همبورجا" نوع ٣٢٣ حمراء اللون تزينها ملصقات هياكل عظمية.. بابها الخلفي أسود اللون وباب السائق أحمر قاني تتدلى جمجمة من عنق المرآة الأمامية.. جميع نو افذها مفتوحة، والدخان يتصاعد من السيارة والمطرب الشعبي "فوزي صغيرونة" يغني: (بيني وبينك.. نسيوني أنا.. عيني عينك).

حاولت أن أختلس النظر.. صاحبه يقوم بفرك الحشيش، قفزت عندهما على ورقة الفركة وهو يفرك ويفرك كنت ضمن المفروكات.

هناك التقيت (بنغازي).. رأيتها ضمن المفروكات وهي أيضا كانت تتناثر قطعة قطعة.. أَفْرغَ السيجارة ووضعني داخلها.. قلبي الذي تناثر لم يكن يبحث عني.. كان يبحث عن (بنغازي) يلملمها ويضمها إلى بقاياه.. وفوزي صغيرونة لا يزال يغني: (أولافي هانوني[1].. وسالن بالدمع عيوني.. انعاني بروحي خلوني.. نسيوني وما قالوا وينك) ولم أنتبه إلا وقد اشتعلنا.. صرنا دخانا وتطايرنا.

[1] هنت على أولافي.

السماء امتلأت بالدخان.. الدخان صار منظرا مألوفا.. الدخان غيمة أحلامنا المفقأة.. آهة أنفاسنا المكلومة.. تنهدتُ.. سألني زوجي ما بك؟.. تنهدتُ مرة أخرى وقلت: (بنغازي) فاضية وليست كعادتها.

اقتربنا من ضريح عمر المختار، وجدناه خاليًا بعدما كان يضج بالعمالة المصرية.. دار الكتب الوطنية مهجورة بعد توقف أعمال الصيانة.. غرس الوجعُ سهامه في قلبي حين رأيتها تنزوي في صمت.. لا أحد يشعر بها.. لا أحد يهتم بها.. فلا أحد يشغله دماغه.. الكل تشغله بطنه.. الشيء الوحيد الذي لم يتوقّف الجميع عن فعله، في هذه الحرب هو إرضاء بطوننا، لذا على بعد خطوات من دار الكتب الوطنية، عالم آخر يضج بالبشر.

في طريقنا نحو الفندق البلدي.. سيارة المازدا لا زالت بمحاذاتنا، وفوزي صغيرونة لا زال صادحًا بالأرجاء..

فجأة أطفأ السائق المذياع ونظر إلى زوجي وقال له: كنك تفنص؟[1].

اضطربت كثيرا.. بل ارتعبت.. وحين رد زوجي عليه: أنت اللي كنك؟.. تبين أنه يقصد سيارة تحاذينا.. خفت كثيرًا فمدينتا الآن تعجّ بالبنادق ونحن بالقرب من منطقة تبيع الأسلحة علنا.

---

[1] "ما بك تنظر إليّ بحدة"؟

دخل زوجي إلى الفندق البلدي.. ركن السيارة وأخذ قائمة الطلبات وترجل..

طاولات ومظلات متراصة يأكلها الغبار والرقع.. صناديق فارغة ملقاة.. خضرة معطوبة.. قناني مياه فارغة.. بقايا سجائر.. قطع حديدية..

يسرح المصريّ بالمناشف وينظر إلى عجوز تتكئ على عكازها، وتلبس جلبابًا أسود يظهر من داخله فستان مزركش بالورود.. يناديها: مناشف يا حاجة.. فترد: ما ناقصنا غير المناشف.. ما عندنا ما نشفوا حتى دمنا ناشف..

الموسيقى تدندنُ في الأرجاء من أكشاك السيديهات القريبة.. أصوات الباعة تعلومن حين لآخر.. البلح عالبلح.. أحدهم يأخذ بلحة يمسحها بملابسه ويأكلها.. قدم المصري نحوي حاملًا المناشف فأشرت بيدي رافضة الشراء.. علا صوت شجار.. التفت نحوه.. ثمة شباب يتشاجرون وأصوات الشتائم تهز الرجاء.. ينزل الشابان من سيارة المازدا يحمل أحدهما طباق[1] ومع خوفي ضحكت وقلت: هل لا زالوا يستخدمونه في الشجار؟.. كان خصمهم شابًا أصلعَ يملأ الوشم جسده.. مفتول العضلات يلبس بنطالا أسود وعلى الحزام جراب بداخله مسدس..

توافد الكثير من الشباب.. بعضهم يوقد الشجار والبعض الآخر يطفئه.. اقتربوا مني وأنا خائفة جدا.. حضر زوجي مسرعا خشية عليّ..

---

١ "ساطور".

كان المتشاجرون قد اتجهوا في جهة أخرى، بعيدا عن باب الفندق حيث نركن السيارة بعد أن علت أبواق السيارات المارة دخولا وخروجا..

لا أعرف لماذا لا نستخدم العضلات؟.. لا نفكر.. لا نتسامح.. لوكل منا تنازل للآخر لسهلت حياتنا. قلتها لزوجي ولا زال القلق يسكنني فضحك وقال: حشيش.. ثم أردف قائلا: هناك بطيخ، نشري بطيخا؟.. و أنا لا أحب رائحته.. بدت علامات الاستياء على وجهي وبينما زوجي يقول: البطيخ لذيذ سبقته بقولي: لا أحب البطيخ.

(العالم ذبابةٌ حطت على أنفها)

وضعتْ رأسها متكئةً على أمها محاولة الإغفاء.. بدأت الأمُّ بمداعبة شعرها.. تنهدتا.. تقابلت عيناهما.. طال الحديث في صمت.. ساعة الحائط تتحرك في صمت.. فرقة هندية ترقص على شاشة التلفاز في صمت ولا صوتَ يكسر حدة الكلام.

آهةٌ تتبعها آهه ونظرةٌ تتبعها نظرة..

تحرق قلب الفتاة وتشعل مواجع الأم..

كسرت الفتاة نظرتها بعيدًا عن نظرات أمها الحارقة، ولاذت بالصمت الذي كسره صوت العكاز فعدلت الفتاة من جلستها لحضور أبيها..

هو أيضا كان صامتا..

جلس على الكرسي المعدّ له.. قفزت الفتاة أخذت الريموت وغيرت القناة ثم رفعت صوت التلفازِ لتهرُب إليه هذه المرة، لكن الصوت الذي باغتهم من الغرفةِ المجاورة كان صاعقا.. عاصفا وشرسا!

لم يتوقف أخوها عن الصراخ.. حاولوا بكل جهدهم مساعدته.. ناولته الدواء.. تلا والده القرآن.. أطلقت أمه البخور.. وظلّ على حالته حتى غفا من الألم فذهبوا إلى غرفهم ولكنهم لم يناموا.

خرجتْ في الصباح الباكر.. ذهبت حيث قدمت صديقتها توصية لأجلها من أجل جوازات السفر.. المنظومة متوقفة. قالها الرجل دون أن يهتز ودون أن يلحظ العاصفة التي داهمتها.. قالت: وكيف نتدبر أمرنا؟

- كان بودي المساعدة لكن المنظومة توقفت، وألغيت الحجوزات العادية وستبدأ الحجوزات الإلكترونية.

- أخي مريض وليس هناك وقت للانتظار.. قالتها وخرجت.. الطرق مسدودة والمصرف مقفل أيضا.. وضعت الماء في مبرد السيارة وربَّتَتْ عليها متوسلة إياها بأن تساندها هذه الأيام..

اخترق مسامعها صوت عال.. يا إلهي قذيفة وقعت على المارة.. دماء وأشلاء وصراخ.. الناس تركض.. توقفتْ عند عتبة الوجع وتسمرت إثر هذا الحدث الجلل.. ظلّ الشباب يُنظِمون حركة السير والبعض الآخر يلملم الأشلاء.. آه لو يلملمونها.. هي نفسها أشلاء.. غرقتْ في الدم الذي كان يسيل في الطريق وغرقتْ في دمها الذي انفجر في رأسها المثقل بالهموم.

ذهبتْ إلى عيادة سيدي حسين لمرضى السكر لتجلب الأنسولين لوالدتها ولكنه غير متوفر ولم تعرف كيف تخرج من هذه الورطة.. دخلت إلى محل المواد الغذائية ابتسمت للسوداني وحيّته.. التقطت بعض الأغراض.. قال لها وهو يبتسم خجلا: الدين كتير.. قالت بألم وخجل: لن أتأخر في السداد إن شاء الله..

خرجت وكأن العالم ذبابةٌ حطت على أنفِها.. كانت تتنفس مكرهةً وتمشي مثقلة.. ناداها ابن الجيران ونبهها عند ذهابها إلى البيت بأن لا تعبر الطريق المقابل فقد اعتلى أحد القناصين بالجهة الأخرى إحدى البنايات..

كل شيء ضاق بها..

مدينة (بنغازي) ضاقت بها.. حي سيدي حسين ضاق بها.. ودت لو تعبر الطريق المقابل فماذا لو فجر القناص رأسها؟!..

ودت لو تعبر نحو شارع عمر بن العاص وتذهب نحو سوق الظلام[1] حتى تصل إلى المنارة والبحر بالقرب من مكتبها، حيث كانت تتجول مع زميلاتها كل يوم.. آآه لو تهرب! فكل الأصوات التي حولها كانت مزعجة ومربكة.. أصوات السيارات.. صياح الباعة.. ثرثرات المارين.. آآه لوكل العالم يبقى صامتا.. وصلت أمام بيتها.. تنهدت و انخرطت في بكاء عميق.

[1] سوق شعبي يشتهر ببيع الذهب والفضة والملابس الشعبية والعطارة.

(الرائحة)

تعلقتُ به وحاولت أن لا أخرج مع أنفاسه.. اندسست في رئته والغيظ يفترسني. . لماذا قدم إلى هنا؟...

لقد اعتدتُ على الروائح الزكية، حيث محلات الملابس والعطور بشارع السودان بحي الحدائق الشارع المكتظ بالشباب ومقاهيهم.. بالفتيات يتجولن من محل إلى آخر.. أنا لا أتقن العيش إلا هناك.. أبتسمُ كلما خفق قلب فتاة إثر نظرة شاب وأضحكُ ملء قلبي وأنا أتجول في أنفاس العاشقين.. مزاجي رائحة القهوة ورائحة الأعشاب من محلات العطارين..

واليوم وجدت نفسي بمكان آخر ورائحة أخرى.. تشبثتُ برئته والغيظ يفترسني .. لماذا قدم إلى هنا؟... سألتُ ذرة أكسجين كانت تجلس بالقرب مني في كل هدوء ، مستغربًا عدم حنقها على هذا الوضع السيئ الذي وقعنا فيه... أين نحن؟..

ضحكتْ وقالت: يبدو أنك جديد على هذه المنطقة.

قلت لها: لا أريد الحديث معك.. بل أريد أن أعرف أين نحن؟

ضحكت مرة خرى وقالت: نحن بشارع السودان. قلت: لا ليس هو.

فأجابت: إنه في الطرف الآخر بحي بوهديمة حيث ورش السيارات وروائح زيوتهن وعوادمهن هنا المكان يختلف..

تأففتُ وصرختُ: ما هذا القدر اللعين؟...

فكررتْ ضحكتها اللئيمة وقالت: ما هذه الحياة التعيسة التي تعيشها بين أنفاس المراهقين؟!.. تعيش على أطراف النبض متسكعًا أمام أبواب المحلات راكدًا وخاملا تهرُب من الشعور بقلق الآخرين. . أنت مملّ.. وأمسكت بيدي وشدّتني بكل قوةٍ.. نهرتُها وناديتُها صارخا، ولكنني في لحظة زفير كنت خارج عالمي الصغير.

لم تترك لي الفرصة للكلام بدأتْ تثرثر وتثرثر قائلةً: عش الحياة بكل رو ائحها.. ما أروع رائحة عرق العمال فخلف كل رائحة حكاية..

قلت: أنا أعيش.. قالت: لا فأنت لم تعش بعد؟ أنت تولد الآن.. ما زالت تشبك يدي وتحدثني عن عالم لا أعرفه من قبل..

باغتتني رائحة الطعمية فتنهدت وقلت: يا الله.. قالت: أتعرف أن خلف هذه الرائحة عديد الحكايات فالشارع هنا اكتظ باللاجئين السوريين، إثر الحرب الذين فتحوا المطاعم بحثًا عن رزقهم...

وهي تتحدث شعرت حقيقة بأنني أولد الآن.. قلبي تنفس الحياة.. تنفس الحب. شعور دافئ تسرب إلى قلبي وأحسست بأنني أحببتها ومن أنفاسٍ إلى أخرى ومن رائحة إلى غيرها قضينا وقتًا ممتعا.. نعم لكل رائحة حكاية وما أروعها هي. . فهي سيدة الرو ائح وسيدة الحكايات.. اقتربت منها أكثر.. شددتُ على يدها.. ضحكت وقالت: هل تعرف هذه الرائحة ؟..

قلت مع ضحكة عالية: نعم الكحول شعرنا بدوار وهربنا. . ركضنا وركضنا ثم جلسنا عند عتبة رائحة البخور والشاي بالنعناع والكاكاوية[1].. استمتعت معها وشعرت برائحة الدفء والحب..

وفجأة شعرت باختناق، بعد هجوم رائحة أدخنة ضاقت على أنفاسنا، فضممتها إلى صدري وحاولت أن أركض بها بعيدا، حتى لا تخنقها رائحة البارود.

---

١ الفول السوداني.

(فنجان قهوة)

لا أعرف كيف سقطتُ على البياض.. فجأة وجدتني على ورقة بيضاء..

صرختْ صرخة مكتومة وخشيت أنه لن يكون بإمكاني التنفس..

ولكنني استطعت ذلك.. خَفّتْ وتيرةُ قلقي قليلا ولكنني ما لبثت أن وجدت نفسي أسقط.. بحثتُ عن شيء أتشبث به عن جملة.. عن كلمة.. حرف.. فاصلة.. نقطة ولا شيء أجده بقربي.. فقط أنا وحدي ألمح ثقب رصاصة وحاجز من الحاويات الملغمة ولم أعرف كيف أتجنب الثقب أو أتخطى حاجز الحاويات ولا زلت أسقط في بياض شرس.

تتشابك الأصوات بقربي قنابل هاون.. صواريخ جراد.. صهيل طائرات.. وزمجرة دبابات..

صرخت وناديتهم ولا أحدا رآني أسقط..

الجميع يثرثر..

الجميع انشغل بصفحات العاجل في الفيسبوك يركضون خلف أخبار الحرب..

و أنا أسقط..

لكمتُ أفكاري.. تصدع رأسي.. رائحةُ البارود أقلقتني.. لم يعد بوسعي أن أتنفس بحرية.. نظر قلم الحبر إليّ بابتسامة باردة.. حاولت أن أركل ابتسامته.. أن أبعده عن ناظري.. الورقة أمامي والأصوات تعلو حولي.. الجميع يتشاجر.. تعصبتْ فمزقتُ الورقة..

هربت إلى الفيسبوك.. هاجمني: "بماذا تفكر؟".. نعم بماذا أفكر؟.. هل يحق لي أن أفكر؟.. الصداع يلتهمني والمنشورات تقذفني، من ضفة إلى أخرى فقط كورنيش (بنغازي) كان بعيدا..

احذر إنه قناص.. اعترضتني في أحد شوارع البلاد هناك لا يوجد سوى الحاويات والسيارات المحروقة.. الطرق في (بنغازي) تتكوّم مثل الورقة التي مزقتها.. وأنا مركونة في جانب قصيّ من الألم، ولم أعرف ماذا أكتب سوى أنني أرغب في فنجان قهوة على شرفة قصر المنار[1].

---

[1] قصر تم بناؤه في عهد الاستعمار الإيطالي في مدينة بنغازي، ليكون مقرا للولاة الإيطاليين.. تعرض المبنى كغيره من المباني في المدينة للقصف خلال الحرب العالمية الثانية، وتمت صيانته بعد الاستقلال ليكون مقرا رسمياً للملك في المدينة.. شهد هذا القصر إعلان ملك ليبيا السابق إدريس استقلال البلاد عام ١٩٥١ ثم سُلِمَ للجامعة الليبية.. تعرض خلال ثورة فبراير للنهب وحرق بعض أجزائه.. استلمت وزارة الثقافة والإعلام جزءا منه وعند إحدى شرفه التي تطل على البحر كان مكتبي " قسم البرامج والأنشطة الثقافية ".. وهو الآن يتواجد بأحد محاور الاشتباكات.

(هو أنت مسيحي؟!)

جلس نجيب[1] أمام المحل يهش الذباب والقلق والأفكار الملغمة.. ولا شيء يوقف الأفكار التي لا تتوانى عن الانفجار واحدةً تلو الأخرى، كانت كلما يفرقع إحداها، تتدحرج غيرها نحوه بقوة فيضربها ويتشبث بتنهيدة لعلها تكون خلاصه ولكن لا مناص..

لا مناص. قالها بينما صوت الانفجارات كان يلبس تاج اللحظة..

قالها حين انتبه أن الخِناق بدأ يعزف مقطوعته الموسيقية، على ضفاف طريق تسرب إليها الرعب.

نادى محمد: أنت فين يا محمد عَمَال بناديلك مالصبح..

رد عليه: إيه يا عمي كنت بصلي.. هو أنت عاوزني أروح فين؟

- كنت فاكرك هربت.

- مش لازم نروح!

- اللهم طولك يا روح.

---

[1] تاجر مصري صاحب محل مواد غذائية، بالقرب من بوابة مصنع الاسمنت بحي الهواري.. حواره مع صديقه واقعي وأحداث الدخول حدثت معي أنا وزوجي عند دخولنا لمنزلنا.

توقفت السيارة قلوب مضطربة.. وجوه مكفهرة وعيون تائهة.. ترجل الشاب متجهًا نحو المحل حيا نجيب وسأله: ما الأخبار؟

- الحمد لله.
- من اللي هنا دول ولا دول؟
- لا دول ولا دول.

حاول الشاب نكزه فتنحى وقال له: يا عمي مزاجي مش معدول.. ضَحِك صاحبه الجالس في السيارة وقال بصوت عالٍ: نجيب مَالكُ هذه المنطقة بلا منازع.. ابتسم نجيب وقال: هو أنا ناقص..

خرج الشاب حاملا علبة سجائر وقنينتي ماء وكروت ليبيانا والمدار[1] وصاح بصاحبه: لقيت كروت هههه من يي يجي[2] ويشريهن من هنا ثم نظر إلى نجيب وقال: ربي يستر.

ساد المكان الهدوء خلافا للأيام السابقة، فازدادت حركة السيارات قليلا.. قالت الأم لابنتها: المهم موبايلك مش معاك.. أكدت الفتاة ذلك وعادتْ إلى ترديدها للأدعية.. قال أخوها بينما كان يتصل بنجيب: أريحينا ولا تكتبِ على الفيسبوك والفايبر.. الوضع سيء وغير مفهوم.. أرادت الأم التأكيد على ما قاله ابنها إلا أنها صمتت حين أجاب نجيب على الاتصال. .

---

[1] بطاقات الدفع المسبق لشركتي ليبيانا والمدار وقد نقصت بالمحلات فترة من الوقت.

[2] "يريد القدوم".

في الطريق المؤدية إلى مصنع الاسمنت، بمنطقة الهواري غالبية المحلات مقفلة.. بعض محلات المواد الغذائية تدب فيها الحياة بحذر.. تلمح حركة مضطربة لقاصديها.. القليل من السيارات أمام مستشفى الهواري العام.. معصرة زيتون توارب أبوابها.. واجهة المصرف التجاري الوطني محطمة بعد اقتحامه وسرقته.. لا ترى إلا قلة من العمال المصريين لمحلات ذبح الدجاج التي كان يضج بها الطريق.. وحدهم العمال السُمر يجلسون على جزيرة دوران المصنع بينما كل محلات الجزيرة مقفلة عدا محل واحد.. المزارع شبه خالية وتلمح آثار سقوط الصواريخ على بعض البيوت..

سألت الأم: ماذا قال لك؟.. قال الابن: هدوء وتوجد حركة سيارات ثم توقف حين رأي جيرانه.. نزل الشابان من السيارة.. تصافحوا وقالوا له: الوضع هادئ ولكن لا تتأخر.

اضطربت الفتاة قليلا بعد رؤية ابن الجيران.. يااه لم يخطر ببالها أنها ستحرم من رؤيته وأنهما سيفترقان بعد اضطرارهما للخروج.. بعث لها رسالة: وحشتيني بقدر خوفي عليك الآن.. ولكن هاتفها كان بالبيت.

- كن حذرا و أقفِل باكرا.

قالها الشاب لنجيب بعد أن تحدث معه عند مغادرته للمكان تاركا بيته خلفه.. استودعه الله واستودع قطيع الأغنام الذي وضع له الأكل والشراب على عجل.. خرجوا وأعينهم تلتفت صوبه.. تركوا آخر تنهيدة تستلقي على عتبته وتوكلوا.. تركوا أفرشتهم ووسائدهم.. ملابسهم وما صعب عليهم حمله.. ضحكاتهم وثرثرتهم. . دفئهم

وراحتهم.. قالت الفتاة: نسيت جهاز قياس السكر.. وهي تتذكر غرفتها.. صورها ومقتنياتها ولم تكاد تكمل كلماتها حتى صرخت استيقاف على الجزيرة وبدأت تردد الأدعية.

ملثمون يقفون عند جزيرة الدوران يفتشون السيارات. . سيارة تتبعهم اتجهت ناحية محل نجيب.. دخلوا عليه وسألوه شاكين في أمره: أنت مع من؟ فقال نجيب: من ليس مسجلا في دفتر الديون لا أعرفه.

اتصل الجار يطمئن عليهم فهدأ قلب الفتاة وخف اضطرابه.. عبرنا الاستيقاف قالها أخوها بينما بعض سيارات الملثمين، كانت متوقفة عند محطة الوقود.. أقفل الهاتف وقال: الوضع يسوء وربي يستر.

أقفل نجيب ومحمد الدكان على عجل ذاهبين إلى بيتهما.. الطريق خالية وصوت شجارهما اختلط بصوت الصواريخ..

الكل يستمع إلى أصوات الصواريخ والكل أصبح سلسالا معلقا في عنق الانتظار.. لا يفقه أحدٌ أين وكيف ومتى يواجه الموت؟!

والكل يتشبث بأنفاسه.. بأحلامه.. بأحبابه..

كتبت الفتاة لحبيبها: الحرب كالحب كلاهما يقتلع قلوبنا ويرميها للغول..

غول القلق..

غول الوساوس..

الحب حرب شرسة لا هوادة فيها والحرب حبٌّ مشاكس يهزّ ردهات قلوبنا حالما بالحياة..

فهل يمكن لقلبي أن يباغت الموت بحبك؟

وهل يمكنني أن أتجرأ وأحبك و(بنغازي) ينهشها الخراب!

الظلام أسدل وحشته والطريق بدأت بالافتراس، تاركةً وساوسها تتلذذ بالمارين القلة جدا جدا جدا..

كان محمد مُصِرًا على ترك المحل، بينما نجيب يرفض غلق مصدررزقه..

صرخ محمد باحثًا عن أي مبرر: دول بيذبحوا في المسيحيين..

لطم نجيب على وجهه مناديا: يااااااااا رب..

ونظر إلى محمد وهو يهش أفكاره الملغمة قائلا بكلمات منكسرة لا تفقأ عين الخوف: يخرب بيتك.. هو أنت مسيحي؟!

(فيلم أكشن)

ها أنا أجدف.. ها أنا أعبر البحر كما يحلولي هوووووه يا هووووه.. لا أنا أحلق.. أنا على بساط الريح.. أصفق بقوة هوووووووه يا هووووه.. ثمة بردٌ وَخَزَ رجلي فرفعتُها على البساط.. انتبهتُ أنه لا شيء بالغرفة سوى أنا والبساط وشاشة تلفازٍ ولا زلت أصرخ: هوووووه يا هووووه.

أنا والبساط وشاشة التلفاز والريموت وصوتُ أبنائي بالغرفة المجاورة وفرحة لا أعرف كيف فتحتْ باب كآبتي وسكنتْ به..

فقد نشأتْ علاقةٌ غريبةٌ بيني وبين الأبواب منذ خروجي من بيتي.. والمفاتيح التي أخبئها في حقيبتي . كأنها عش الدبابير. كلما ألمسها ثمة وخزات تصيب روحي... والباب كيف هو الباب؟.. لمّ هو؟. . أشعر وكأنني طُعم في صنارة تتلقفني ألسنة الفراغ.. فلم يعد هناك باب لي.. ثمة وجوه كثيرة وثمة رغبات وأصوات وأنفاس أخرى تدوسني.. أريد أن أتنفس هوووووووه يا هووووه.

- ما بك؟

لم أعرف بمَ أجيب زوجي الداخل حاملًا بعض الأكياس.. انشغلت عيني بتفحص الأكياس ولازلت أصرخ: هوووووه يا هووووه.

- ما بي؟ (قلتها وأنا أتفحصني).. لا شيء.. أنا هي أنا.. آآآه لو تقوم بتعديل صحن الديجيتال.. كم أرغب أن أشاهد فيلما.

خرج الأولاد يتلقفون الأكياس ويطالبون بمشاهدة الرسوم المتحركة.. ولا يزال زوجي ينتظر إجابتي وهو يردد: ما بك؟.. حتى زوجي نشأت علاقة غريبة بينه وبين الأبواب.. هو لم يتآلف مع الباب الذي أقفله للتو.. لم يعرفه بعد.. لا زال الباب غريبا.. لا زالت جدران البيت غريبة.. بيتٌ لا تملكه يظل غريبا.. وكرر السؤال بوضوح أكثر: ماذا ترتدين؟

نظرت إلى الفستان القصير الخفيف الفضفاض وقلت: أنا أرتدي ما يريحني (وقد نزعت الإشارب والفستان الطويل ذا الأكمام الطويلة التي أثقلتني في بيت أقاربه).. أنا أتنفس هوووووووه يا هوووووه.

أخذت الأكياس.. لم يجلب خبزا.. إذن لا مفر من طهي المكرونة وسأعجن للمساء.. عدم وجود طاولة كان مربكا في إعداد الطعام والأكثر إرباكا هو الفرنيلو[1] ويسترنا الله ولا تنقطع الكهرباء.

لا زال البيت يحتاج الكثير من الترتيب ولكنني أرغب بالراحة.. الآن وقت كوب الشاي وفيلم أكشن كم أرغب بفيلم أكشن! صفعات وركلات ولكمات.. كم أودّ أن تتورم أفكاري وتخلد للغثيان.. الحرب فككت شفرة أفكارنا.. الحرب سرقتنا وسرقت أحلامنا، وأحلامٌ لا نملكها تظل غريبة.

---

[1] صفيحة كهربائية للطهي.

يا الله.. زوجي سبقني واستلم الريموت من الأولاد.. أتيت إليه مسرعةً وقلت وقد توقف عند نشرة أخبار: نشرة أخبار.. نشرة أخبار.. مللت من النشرات..

الأخبار هنا..

الحرب هنا..

ألا تسمع أصوات القنابل..

أريد أن أرتاح قليلا..

لا أريد أن أفكر..

لا أريد أن أتخيل القادم الذي يتفنن في حضوره بصور بشعة.. كم أتمنى أن تتوقف شاشة عقلي.. كم أتمنى أن.. أن.. أن.. وفجأة انقطع الكهرباء وضحك زوجي.. هووووووه يا هووووووه.

(أربعطاش ونص)[1]

كان أول لقائي بـ"النص" في درجة امتحان.. حينها بكيت عندما قابلني وما انفكت معلمتي تقول لي أنها تلقائيا سترفع الدرجة ولم أعرف لماذا وضعتها؟.. هل لتقسم قلبي نصفين إثر خوفي من أمي أو إنها كانت ترغب في رؤية بعض دموعي؟.. ومن هنا بدأت علاقة غريبة بيني وبين "النص" وظلّ يقتحمني دائما بل يقتحمنا جميعا.. قلت لأختي حين تشاجرت معها على حذاء: ناخذه ونص ولا أعرف النصف الآخر أين هو؟..

"النص" يسكن أفكارنا ويقسمنا كما يشاء حتى في عشقنا لا نقول: واحد مع واحد اثنان بل نقول: واحد ونقسمه نصفين.. نغني مع الفنان وليد توفيق: تجي نقسم القمر أنا نص و أنت نص.. ونهيم طربا بالرقص على وحدة ونص.

أصبح التجول في (بنغازي) صعبًا بعد إقفال العديد من الطرق بالسيارات والحاويات والقوالب الإسمنتية، وأكوام التراب حتى أن بعضها قفل بالأثاث. . أحياء كثيرة استوطنت بها الحرب فأصبحت كثقب الأوزون

---

[1] مضاد للطيران قطر مقذوفه ١٤,٣٠ وشاع اسمه في ليبيا بأربعطاش ونص وأربعطاش هي أربعة عشر.

يتسرب من خلاله رائحة الخراب، ونقابلها في كل اتجاه وأحياء أخرى نتكدس بها، نبحث عن أكسجين الحياة ترافقنا أصوات الصواريخ والقنابل، التي لا تتوقف وتجعلنا ندور في دوامة من القلق والكآبة.

كان اليوم منهكًا جدا فبعد قضاء يوم سابق في تنظيم البيت الذي استأجرناه.. ها نحن نتجول لشراء بعض الأغراض التي نحتاجها.. قال زوجي: أنا جائع سأشتري أنصاص[1] قلاية[2] وذهب لشرائها..

"النص" له سطوته في حياتنا، مع أننا لا نرضى بأنصاف الحلول ونحب كل الشيء.

"نص ونص". قالها زوجي حين عَبر عن عدم استساغته للساندويتش.. تنهد وقال بحسرة: الله الله مش كيف أنصاص مطعم بوذراع[3].. ضحكتُ بألم: أيــه. فقال: كم تشتهين أنصاص مطعم بوذراع وتشتهين التجول في ميدان سوق الحوت[4] والأقواس.

---

[1] سندويتشات. . بعض الليبيين يطلقون على الساندويتش بالنص.

[2] أكلة شعبية ليبية عبارة عن لحم يقطع صغيرا مع البصل، ويوضع عليه الملح والزيت والبهارات، ويوضع على نار هادئة ويمكن وضع عصير الطماطم والطماطم المعجون، ويمكن أن تكون القلاية باللحم أو الكبدة أو مع بعضهما.

[3] مطعم شعبي يقع بمنطقة سوق الحوت.

[4] ميدان سوق الحوت أحد معالم المدينة القديمة في بنغازي، وسُمِيَ بهذا الاسم لوجود سوق متخصص في بيع الأسماك فيه قديمًا وتوجد به معالم مهمة منها حوش " بيت " الكيخيا وهو أحد أقدم بيوت المدينة وأحد معالمها تأسس في نهاية العهد

فكلما نتجه هناك لا أحسب ثمن الأنصاص.. فقط بل ثمن الكتب التي تشترينها.. ضحكت مرة أخرى وقلت هاربة من تخيلي للأماكن التي أشتاق إليها، ومتخلية عن وقفتي بين "النص" و"النص" باحثة عن خط مستقيم أسطر عليه حياتي، بعد أن تكسرت إثر نزوحي وقلت: لقد تلذذت بالأنصاص.. فمنذ خروجنا من بيتنا وتكدسنا عدة عائلات، في بيت واحد لم أذق سوى الأرز والمكرونة، وحرمت من طبخ أكلة مميزة لعائلتي وكل شيء أصبح "نص ونص".

تتكدس محلات أي قطعة بدينار، وهي الآن ملاذنا لشراء بعض الأغراض التي نسير بها أمورنا.. أخذت بعض الأواني.. الأكواب.. السكاكين.. الملاعق..

المفارش.. الشمع.. ومن باب الترف اشتريت بعض البخور.. لم أخرج من نطاق أرفف القطعة بدينار وقاومت كل مغريات البضائع الأخرى..

وكنت التقط الأغراض مراقبة نظرات زوجي، الذي كان ينبهني إلى الاقتصاد فالظروف غير واضحة والإيجار ثقل كبير.

تخيلت بيتي وصرت أتذكر أغراضي.. كنت مولعةً بالآلات الكهربائية، وتذكرت أنني كنت أرغب بشراء آلة لطبخ الفوشار حينها قال زوجي: آلة

العثماني من قبل صاحبه السيد عمر باشا الكيخيا وقد تم تحويله إلى معرض باسم بيت المدينة الثقافي. . ووقع ميدان سوق الحوت بمحور الاشتباكات.

فوشار، لماذا؟ وهل تحدث ضجيجًا مثل وضعه في وعاء الطبخ.. هل تريدين أن تحرمين الأولاد من الرقص حول فرقعتها؟

كل شيء يفرقع الآن يا زوجي..

لا صوت إلا صوت الفرقعة..

الحلم يفرقع..

الوطن يفرقع..

الوجع يفرقع..

نظر إليّ البائع وقال: أربعطاش ونص..

صرخت أربعطاش ونص أين الأربعطاش ونص؟.. يا ربي.. يا ربي

ضحك البائع وقال: أربعطاش ونص دينار..

ارتبكت.. ضحك زوجي بصوت عال.. دفع المبلغ وخرجنا ولا أعرف من أين ظهر "النص".

(الرقعة)

ها هو الحصان تهاوى وسقط..

لقد رأيته يلفظ أنفاسه ويزاح عن الرقعة في غمضة عين..

ما فتئت أن خرجتْ القلعة حتى لحقها الحصان. .

وماذا فعلت أنا؟..

لم أُسْقِط له سوى حصان وثلاثة جنود.

حاولت الهروب مما حولي لكنني وقعت في الفخ.. اللعبة هي اللعبة على الرقعة أم خارجها.. عليك أن تكون داهية.. عليك أن تكون ماكرا.. والرصاصة الوحيدة المخبأة في جيبك يجب أن تستقر في رأس نبلك كي تعيش.

صاحب الجسد الهزيل يصول ويجول، على هذه الرقعة ويبتسم ابتسامته الماكرة.. صديقي كان متحمسًا جدا لتشجيعي وخشيت أن أخذله..

وددت لوكان بإمكاني أن أركل الرقعة وألكمه..

لوكان بإمكاني أن أسدد ضربة على وجهه حتى يتهاوى أمامي..

هو الآن يعيش نشوة انتصاره اللذيذ، و أنا أتذوق مرارة خيبتي وصديقي فقد بعض رغبته في فوزي.. ولكنه لم يفز بعد.

كم تزعجني كلمة الفوز..

لماذا نحدد حياتنا بالخسارة والفوز وهل الفوز مرادف الخسارة؟..

لماذا عندما تفوقتُ في الامتحانات، وبختني أمي ذلك اليوم لأنني لم أتحصل على الترتيب الأول وكأنني خسرت..

لماذا نحدد نجاحنا بنجاح الآخرين؟ ولماذا علينا أن نُسْقِط الملك؟ ولم الملك ومن هو الملك؟ وهل ينضم الآخرون إلى غريمه؟ وما هذه الغريزة الحيوانية التي تسكننا؟

هو لم يفز بعد.. لا هو الفائز.. لا لم يفز بعد وها هو حصانه قد تهاوى أيضا.. يمكنني أن أفوز لقد أسقطتُ حصانه الثاني.. صفق صديقي بقوة.. نعم أنا الفائز ولكنه يبتسم.. لماذا يبتسم؟

الحرب الآن أكثر شراسة حتى الميكروبات يمكن أن تكون سلاحًا فتاكا.. لا شيء خارج اللعبة و أنت فقط تكون خارجها حين تسقط وهل يسقط غير الملك أو بالأحرى، هل ينتبه الآخرون إلى الآخرين المتساقطين.. كم أنا ثرثار أبله وفيلسوف مبتور الرؤى.. فهل يهم أن تفتل عضلاتك كي تلين الأفكار؟

سقط ملكي.. قالها: كش ملك..

أووووه.. لقد أسقط ملكي ولكنني أسقطت حصانيه.. فهل يعيش ملكه؟ وكيف يعيش الملك بدون حصان؟!

خرجت ساخرًا من نفسي وقد أنهكتُ أعصابي في لعبة انتهت ومضيت.. نكزني صديقي قاصدًا إغاظتي بعد استعراض البطولات الذي أديته قبل اللعبة.. لم أنبسْ ببنت شفةٍ..

أزعجني وهو يقلب صفحة الفيسبوك خاصته في طريقنا إلى المقهى.. كان متحمسًا جدًا ومطالبًا بثورة أخرى..

عقلي كان مشغولا ولم يهزني حماسه..

فالتجوال في المدينة أحيانًا، يجعلك ترى بوضوح وتنتبه أكثر بعيدا عن شطحات الفيسبوك.

الشوارع مزدحمة بشباب يرفعون اللافتات ويصيحون.. فماذا يقولون؟.. وهل يسمع العالم صياحهم؟.... ترى المغلوبين على أمرهم يقفون طوابيرَ أمام المصارف والمخابزوأماكن تعبئة إسطوانات الغاز..

طرق متهالكة.. مستشفيات مشلولة.. مدارس عمياء.. مقاهي مزدحمة.. وصديقي لا زال شاطحًا على صفحات الفيسبوك..

فيسبوك.. كمبيوترات.. أقمار صناعية.. و.. و.. و...

أي مربع نتكوَّمُ نحن فيه؟

كانت الرقعة كبيرة.. كبيرة جدا.. ووددت أن أركلها.

(حلقٌ جاف)

لا أعرف أي بطولة اقترفتُها و أنا ألقي بنفسي في أتون المجهول.. المارةُ خائفون.. المارةُ قليلون.. والطريقُ شبه خالية.. الصمتُ يدشن انكسارنا.. و(بنغازي) تُزَفُ قربانا لآلهة الخوف.. المحلات مقفلة.. الوجوه متجهمة وهناك نفير في مديرية الأمن.. فهل يا ترى سيعيدون هجومهم عليها مرة أخرى؟

كيف سأصل إلى المزرعة؟..

الوضع غير مُطَمْئِنٍ و أنا لست بطلًا كما يراد لي..

ينبغي عليّ أن أرجع ولكن كيف سأطمَئِنُ على ابن خالتي، وأطمئنَ أمه؟ تبًّا له..

قلت له: لا تذهب..

ما الذي حدث له؟ ولماذا اختفى؟ فهو لا يعرف سوى مزرعته وقطيع أغنامه، ولم يعد يهنأ بالنوم منذ أن اضطر للخروج من بيته ومن عالمه الخاص.. هو لا يفعل شيئا.. لا يخرج إلى المظاهرات ولا يكتب على الفيسبوك مثلي ولكنه اختفى..

وتبًّا لي..

كيف تجرأت على خوفي لحظة شهامة فماذا ستفعل الشهامة؟.. هي لن تكون طاقية إخفاء تجعلني أمرّ أمام البوابات بسلاسة..

آآآآآآه لو كانت الشهامة ريدبول يعطيني جو انح..

ماذا أفعل؟.. ربما يتعرف إليّ أحدهم.

أنا الآن علكة في فم القلق والطريق لسان يمططني كيفما يشاء..

رَتَلٌ من الملثمين مرّبجانبي.. أقنعة سوداء ور ايات سوداء..

(بنغازي) تُزف قربانا لآلهة الخوف..

و أنا أزف قربانا للشهامة..

أصوات اشتباكات ولم أعرف أي اتجاه أمضي إليه.

ألا توجد عنكبوت تلدغني لأصبح سبايدرمان..

أو ثقبا ينقلني إلى مدار آخر..

أنا جائع.. تعالي يا سنكرز فربما أكون مصارعا أودبابة..

الهاتف يرن.. أمي تتصل..

جف حلقي وقنينة الماء فارغة..

ولم أعرف أي طريق أعبره..

لم أعرف مصير ابن خالتي ولم أعرف مصيري.

(الوساوس النذلة)

أصر زوجي على استخراج جوازات سفر إليكترونية، على الرغم من أننا لم نخرج قط من ليبيا، ولكنه علّ ذلك بالظروف المبهمة.. قائلا: ربما يحتاج أحدنا للعلاج فلا مستشفيات نعول عليها إثر هذا الوضع.. مستشفيات وقعت بمحاور الاشتباكات وأخرى يتكدس بها الجرحى.. ثم صمت وقال: ربما نضطر للهرب..

كنت أكثر منه اضطرابًا ووسواسَ، ولكنني لم أتصور أبدا بأنني سأكون يوما ما مُضغة للغربة.. وهذه البلاد لم أخرج منها قط.

بنغازي والقذائف حكاية دامية.. يمكنك أن تكون ببيتك فتحط القذيفة على منضدة طعامك وحينها لا تُبعثر الأواني ولا تُبعثر ضحكة اللمة[1] وحسب بل تبعثر حياتك وحياة أحبتك.. القذيفة لا تفرق ولا يرق قلبها.. فهي تسقط على حديقة يركض فيها الأطفال ويضحكون ثم يتساقطون واحدا تلو الآخر..

قال أبي: لم نعرف كيف نصعد درجَ الجيران وقد وقعت القذيفة.. الأطفال بالطابق السفلي يصيحون و أبوهم في الأعلى لا صوت له..

---

[1] الجلسة العائلية.

وظلت فكرة جواز السفر تراودني باستمرار.. بدأنا رحلتنا نحو إصدارهن.. و(بنغازي) لا يوجد بها مقر.. اضطررنا للذهاب إلى بلدية سلوق عبر طريق طويلة وخانقة، عند المدخل الشرقي لبنغازي فبلدية سلوق التي كنا نتجه إليها عبر الجهة الغربية وتبعد خمسين كم.. نضطر الآن إلى قطع فوق المائة كم جهة الشرق حتى نصل إليها.

بعد جُهد جهيد صدرت جوازاتنا ولكن الوساوس ظلت تلازمنا.. بل تزداد شراسة يوما بعد يوم.. فانقطاع الكهرباء المتواصل ولفترات طويلة يشعرك بأن المدينة في غرفة العناية الفائقة.. صرنا نتناول الفيتامينات ونبخر الزعتر خوفًا من مرض أحدنا.. صرنا نقلق من القلق نفسه.. تارة ينقص الدقيق وتارة ينقص الأرز.. مع انقطاع غاز الطهي.. وازدياد الأسعار غلاءً يوما بعد يوم..

ومع ذلك فالأفراح لم تتوقف ببنغازي.. فأبواق السيارات والزغاريد تمتزج مع فرقعة القنابل. . كل شيء في (بنغازي) متاح.. الموت والحياة.. الحزن والفرح.. (بنغازي) مدينة التناقضات والبنغازيون يعرفون فكّ شفرتها.

جوازات السفر وحقيبة نجمع بها بعض أغراضنا مجهزة ومركونة، في غرفة النوم.. أراقبها كل فترة وكأنها منطادٌ سيحملنا بعيدا عن الحرب ولكن إلى أين؟ وكل المرافئ تضج بالمهاجرين.. أشعر بالرعب متخيلة تكدسنا في خيمة على الحدود.. لا شيء يوقف وساوسي النذلة. . فما حدث لم نكن نتوقعه أبدا.

ودائما يحدث ما لم نتوقعه.. لا أعرف أي شعور يصاحبني والإغماء يلازمني والقيء على فترات متكررة يجهدني.. زوجي كان مضطربًا.. حاولت أن أهدئه فقلت: إننا سنتجاوز مرحلة الحمل الصعبة التي دائما ما كانت تلزمني الفراش..

كنت أجهز نفسي للذهاب، إلى حفل زفاف ولم يكن عندي رغبة، علاوة على الموعد الباكر الذي تم الاعتياد عليه خلال هذه الفترة وغثيان الحمل..

اكتفيت بالقليل من الماكياج، على غير عادتي وكنت أود أن أرتدي فستان سهرة، لكن وساوسي جعلتني أرتدي فستانا طويلا عاديا ولبست سترتش فربما تسقط قذيفة أو تحدث فوضى فكل شيء متوقع الآن.

كان الحضور قليلا جدا، فالناس تفرقت بين نازح إلى مدن أخرى وبين مفقود جراء الحرب.. هذه المدينة يداهمها الرحيل.. فهل صدق زوجي حين فكر في جوازات السفر؟..

والسفر إلى أين؟

بدا الفرح كئيبا.. لا فرقة موسيقية.. بعض الفتيات يرقصن على أنغام الدي جي.. الكل يحاول أن يبتسم..

جلست أم العروس بقربنا وقالت بحسرة: كنت أحلم أن يكون فرحها مختلفا ولكن الظروف صعبة والعريس رفض التأجيل وإخوتها يوافقونه الرأي.

- صَدقوا، لا داعي للتأجيل.. قلتها وأنا أحصي أحلامنا المؤجلة وخططنا المؤجلة وحياتنا المؤجلة .. وتذكرت زوجي وهو يصر على

إصدار جوازات السفر.. فهل نحن نلعب في الوقت بدل الضائع؟.. كم كرة قذفناها خارج المرمى؟ وهل نحن الآن كرات تتسلى بها الوساوس؟

حدثتْ ضجة في الفرح بعد سماع سقوط قذائف على حي بوهديمة.. ارتبكتُ واتصلتُ بزوجي قلقة على الأولاد.. طمأنني وأخبرني بأنه في الطريق إليّ.

الشمس لا زالت تتلصّص في الأفق بلونها الأحمر، وأغلب الزائرات تو افدن للخروج.. كل الوجوه مرتبكة.. فحي بوهديمة لا يبعد كثيرًا عن قاعة (بنغازي) للمناسبات وأصوات القذائف قوية جدا..

كان زوجي مرتبكًا وتسرب شعوره بالقلق إلى قلبي.. ماذا حدث؟.. سألته وقد انتبهت أن الماكياج الذي وضعته شبه تلاشى فأزحت الخمار عن وجهي..

سألته مرة أخرى: هل الأولاد بخير؟.. قال: نعم.. وصمت.. ولا زلت مرتابة من قلقه.

الطريق إلى بوهديمة من جهة مستشفى ١٢٠٠ والكليات الطبية مقفلة بسبب وقوعها بالقرب من محور الحرب.. وعلينا أن ندخلها من جهة الحدائق وهذه الطريق دائما مزدحمة وقلبي لم يحتمل.. سيارات الإسعاف تمر بقربنا صوتها كان كصوت احتكاك طبشور نزق بسبورة رتيبة..

ولم أحتمل..

على جدار مدرسة المرحوم عبد الرازق الشيخي كتبت عبارات تبعثر قلبي أشلاء.

إلى كل الخونة، ستبكون يوما كالنساء على وطن لم تدافعوا عنه كالرجال . الثورات يبدؤها المقهورون ويقودها الشجعان ويقطف ثمارها الجبناء . ستبقى ليبيا عالية ستبقى ليبيا حرة . تعاونوا تعارفوا تحابوا . (بنغازي) مدينة الرجال..

تحت جسر الطريق السريع ندخل إلى حي بوهديمة.. حيث تتمركز بوابة للجيش وملصقات لصور الشهداء.. بيتي ليس ببعيد وقلبي يدق ويدق وزوجي ظلّ صامتا.. اتصلت أمي قلقة: أخبرتها بأننا بخير.. ولا زلت مرتابة من قلق. .

اقتربت من البيت بجانبه خيمة عزاء.. يا الله.. يا الله من؟.. من؟.. نطق أخيرا فقال: القذيفة وقعت على بيت الجيران وماتت أمل...

- يا الله أمل.. ماتت أمل.. ماتت الشابة الجميلة المحبة للحياة.. أصوات الصراخ وأمّها مضرجة بالدماء.. تلتف حولها النساء يطالبنها بالذهاب إلى المستشفى، ربما كسرت يدها ولكنها ظلت تصرخ وتندب ابنتها.. حضنتُها وبكيت.. بكيت كل الأحبة الذين فقدتهم.

البكاء معزوفة يومية والخوف عُصارة وساوسنا..

تغلغل في جسدي الإنهاك والقشعريرة.. احتضنتُ أولادي وبكيت وبكيت.. ثم ارتميتُ في حضن زوجي وسألته: هل يحتاج ابني إلى جواز سفر فقط؟

(الافتراق)

- لطالما رغبتَ أنت بذلك، لطالما وددتَ التخلص مني، أنا لم أفعل لك شيئًا، كنت أوقفك كلما دجّجتني بأفكارك المتهورة، قلت لك مرارًا ومرارًا: عش حياتك قبل أن يقع الفأس في الرأس.
- كنت أريد أن أعيش مرفوع الرأس.
- هههه مرفوع الرأس هههههه، لا أعرف كيف تعاملون الرأس، كل منكم يريد أن يكون رأسًا، فيزج برأسه في كل فكرة، في كل حفرة، كل منكم يزج برأسه إلى المخاطر ثم يقول: (اللي تخطا الراس تطبب[1])[2].
- ما بك.. أنا لم أفعل لك شيئًا؟
- قلت لك: (حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس)[3].
- نحن لسنا قطيع أغنام، رؤوسنا تفكر وقاطعو الرؤوس كانوا سيحصدوننا جميعا، كان يجب أن أفكر فوضعت عقلي في رأسي و(حط عقلك في راسك تعرف خلاصك)[1].

---

١ " تتعالج ".

٢ مثل شعبي ليبي.

٣ مثل شعبي ليبي.

- (الرأس الكبير ديال[٢] الهم والتدبير)[٣]، قلت لك: فكر كما يفكر غيرك، أنت كبرت رأسك وجعلته واضحًا جليًا، يراه الآخرون دون الرؤوس الأخرى.. فالرؤوس الأخرى خاوية و(الراس الخاوي عمارة القهاوي)[٤].. فبينما كان الجميع يدخنون راحتهم كنت أنت تصفع رأسك.

فكم مرة وددت التخلص منه، كم مرة لعنته وضربته في الحائط، كم مرة أخبرتك بأن غيرك يقدس رأسه ويقول: (خطا راسي وقص)[٥]، الرأس مهم جدا يا سيدي، ألا ترى الملثمين؛ إنهم يخفون رؤوسهم ويقدسونها.

- يا إلهي.. ما الذي يحدث؟
- إنهم يأخذونني.
- سنفترق، كيف سأكون بعدك.. لن يعرفني أحد بدونك.
- ألم تدرك بعد؟، لقد وقع الفأس في الرأس و افترقنا، و أنت الآن مجرد جثمان لن يعرفه أحد و أنا الرأس.

---

١ مثل شعبي ليبي.

٢ " ملك ".

٣ مثل شعبي مغربي.

٤ مثل شعبي مغربي.

٥ مثل شعبي ليبي.

(المطب)

فنجان قهوة واحد، لا يعدل المزاج، فبعد قضاء ليلة تحت القصف توجب علينا النهوض باكرا، للذهاب إلى المصرف بمدينة البيضاء[1].. اقترب أحد الملثمين منا وقد كانوا يسدون الطريق بشوارع الليثي، وحين انتبه أننا من سكان الليثي انصرف.

لا أعرف متى نتخلص منهم.. هؤلاء الذين أصبحوا مطبّ حياتنا والذين تكوموا داخل قلوبنا كمادة دِبْق تلتصق بها حشرات القلق والظلام.. خرجنا من مدخل (بنغازي) الشرقي ولا زالت الشمس تتكاسل وتتدلّل بحضورها في الأفق.. بينما كنت أسكبُ فنجان القهوة لأخي اندلقت بسبب مطب فالمطبات على الطريق أصبحت تتكاثر كالهموم التي تتناسل في جوفنا.. مطب يلحقه مطب والطريق طالت أكثر من ذي قبل.. قال أخي: أخشى أننا سنتأخر وسنجد أمامنا طابورا طويلا.. قلت: يستر الله. حينها قال: نعتمد عليك فدائما طابور النساء أقل.

الاعتماد عليّ أصبح مقلقا..

فكم أود أن ألقي قلقي على من أعتمد عليه..

---

[1] المسافة بين بنغازي والبيضاء ٢٠٠ كم.

هذه العائلة دائما لا تشعرك إلا بالحاجة إليك، وكم أرغب بمن أحتاج إليه..

كم أصبحت حياتي مليئة بالمطبات..

طلبات إخوتي التي لا تتوقف ومرتبي الذي أنفقه لمصاريف زواجهم.. الاعتناء بأبناء أخواتي الأصغر مني المتزوجات دون أدنى شعور بتعبي.. تنظيف البيت وإعداد الطعام وكأنني خلقت لهم ممرضة وطباخة ومربية أطفال.

الطريق إلى مدينة البيضاء ميهرة فعبور الجبل الأخضر الخلاب، يسكب في داخلك الكثير من الطمأنينة.. قال أخي: كم نحن بحاجة إلى بعض الهدوء بعيدا عن قلق الحرب.. فقلت: يستر الله.

أمام المصرف يتكدس الرجال، وهناك باب مفتوح لدخول النساء فقط.. على جهة اليمين وجدت المكان المخصص لنا.. كراسي قليلة تجلس بعض النساء وبعض الفتيات يجلسن على عتبة نافذة، تطل على الساحة الأمامية حيث يزدحم الرجال، أما الغالبية و اقفات فرادى وفي مجموعات عدا الطابور الذي يُنظم بورقة، فسجلت اسمي ووقفت.

تدخل امرأة مسنة ترتدي جلبابا أسود ومحرمة زرقاء تتكئ على عكاز.. أمسكت بيدها إحداهن، وقدمت لها كرسيها وأخذت اسمها لتسجله.. نظرت إليّ إحداهن وقالت: ربي يستر خايفة تجي الساعة اثنان ويسكّروا.. فقلت: يستر الله.

استهلت الفتاة بداية الحديث معي وقالت: أنا نازحة في مدينة شحات[1] ولم أظن أن المصرف زحمة.. قلت: أتيت من (بنغازي) ولكننا تأخرنا في الطريق.. دخلت إحداهن بدت الصدمة على وجهها حين رأت الجموع وقالت بصوت عال: واااو زحمة.. ردت عليها المرأة المسنة: سمي با الله.. أخذت الورقة.. سجلت اسمها ووقفت بالقرب مني.. نظرت إلينا.. ابتسمت وصوت فرقعة العلكة يصاحب حديثها وقالت: خير كيف حالكن؟.. ما عندكن سو؟

لا يمكنك أن تحدد المطبات في حياتك.. تنتبه إلى نفسك و أنت تستغل الكثير من وقتك للقفز.. اتصل أخي وأخبرني بأن حي الليثي تم قفله وأهلنا خرجوا.. ولم أنتبه إلا وصاحبة العلكة هزتني وقالت: كيف صار في الليثي؟.. ارتبكت كثيرًا ولم أعرف كيف سنخرج من هذا المأزق.. نظرت إليها وهي لا زالت تكرر سؤالها وقلت باقتضاب: تم قفله.

قالت الفتاة: ربي يعين الجميع فالنزوح واعر.. ولا زالت صاحبة العلكة تقتحمنا بفرقعة العلكة وضحكتها المزعجة فقالت: الحمد لله أنا مش نازحة.. حَرَّكتُ جسدي قليلا حتى قابلت الفتاة مبتعدة عنها ولكنها اخترقتنا مرة أخرى وسألتنا: أنتن متزوجات؟.. ردت الفتاة بعصبية: لا.. وكذلك أنا..

---

[1] المسافة بين مدينة شحات ومدينة البيضاء حوالي ٢٠ كم وهما من أهم مدن الجبل الأخضر، وضمن فترة نزوحي نزحت حوالي سبعة شهور بمدينة شحات " قورينا " وكان البيت الذي استأجرته، بالقرب من معبد زيوس ثاني أكبر معبد في العالم القديم.

حاولتْ الفتاة أن تبعدها عنا.. فسألتني عن شهادتي.. ولكنها تدخلتْ مرة أخرى وقالت: أنا دبلوم تعليم.. ثم قالت: إن شاء الله ربي يعطيكن وتزوجن..

سألتني الفتاة: هل عندكم مكان آخر أم ستستأجرون؟.. صدمتنا مرة أخرى وقالت: بصراحة أنا وضع البلاد مش هامني!

وأردفت: أنا نبي فلوس عشان إبرة.. الدكتورة طلبت إبرة.. تعصبت كثيرًا و أنا أنظر إلى هذا المطب الذي تماثل أمامي.. وهي لا زالت تقول: أنا نبي وليد.. كبرت وما عنديش وقت وسألتني: أنت تبي وليد؟.. امتلأت غيظًا وقلت لها: أنا نبي راجل.. عندك راجل.

(حقنة وريد سامة)

متابعة الفيسبوك خلال الحرب أشبه بالتجول في أرض ملغّمة..

فبعض الأخبار كحقنة وريد سامة..

تسلب حياتك في رمشة عين..

رمشة العين أحيانًا تكون قاتلة..

هذا الخبر حَطَّمَ قِفلَ بابي و اقتحمني دون هوادة..

ماذا أفعل؟!

هل أصرخ؟!

زوجي دائما يقول: توًّا تفرج.

كنت كلما أتذمر يقول: وحدي الله.

أحتاجه الآن كثيرا.. أحتاج أن أغفو على صدره.. و أقول له: لا إله إلا الله..

كيف أتصل به وأخبره بما حدث؟..

و أنني الآن أحتاجه أكثر وأكثر وأ... ك... ث... ر..

- ما تتصليش.. توا نكلمك أنا.. تشغليني لو في اشتباكات..

هيا.. اتصل.. أحتاجك الآن..

إسطوانة الغاز فرغت.. صنبور المطبخ يحتاج إلى إصلاح.. خالد يحتاج إلى أدوات للمدرسة.. وفرح تسأل عنك...

تأخرتْ هذه المرة..

وهذا الخبر كحقنة وريد سامة..

أعددت لك "الغريبة بالقرنفل" و"المقروض" اللذين تحبهما..

ملابسك جاهزة.. كنت فقط أنتظر أن أبدل ملابسك، من الحقيبة التي رأيتك آخر مرة تحملها على كتفك وتخرج قائلا: وحدي الله.

فكيف أتصل بك وأخبرك بما حدث؟

أحتاج أن تخبرني: كيف اتصرف؟

دائما تقول عني: دلوعة.. دلّلك أبوك وحصلت فيك..

ماذا أفعل للباب الذي يطرق بقوة؟!

كيف أحتمل هذا الصراخ؟!

خالد ينتظر أدوات المدرسة..

وفرح من يدللها!

(التبول)

أصبحتْ قيادة السيارة في شوارع (بنغازي) لا تطاق.. يمكنك أن تظل عدة ساعات لتصل إلى مبتغاك.. طرقٌ مسدودة واختناقات في كل مفاصل الأحياء.. وأصبحتُ أقضي وقتي في توصيل الأولاد إلى مدارسهم وجامعاتهم وحسب.. بدأتُ أشعر وكأن البرود قد احتل جسدي.. لم أعد اتعصب ولم أعد أتذمّر بالرغم من أنني لا أطيق الانتظار.

أنا بخير.. قلتها لزوجتي بعد اتصالها لتطمئن علي.. زوجتي تشك بي.. أشعر بذلك فهي تود معرفة سبب الهدوء الذي سكن قلبي مؤخرا..

ترجلت ابنتي إلى جامعتها وكانت عيناي تتبعانها بقلق.. فلا شيء في هذه البلاد معقول والفجائع تتساقط دون استئذان..

الطريق مزدحم وأخشى أن أتأخر على طفلي الصغير.. سيارات إسعاف.. التهمتْ وقتنا على الإشارة الضوئية ثم تشابكتْ السيارات.. علتْ الأبواق.. وبدأتْ الشتائم تتنافس بالرقص على خشبة البذاءة ولم يعد هناك ما يجعلك تغتاظ.

احتضنتُ ابني وضممته بكل قوة، وقد احمرت وجنتاه إثر الانتظار تحت لهيب الشمس.. شعوري بالعجز أمامهم يفتت قلبي فوضعنا غير آمن وعدم وضوح الرؤية يربكني..

وما أنا إلا مجرد طو اقة نجاة لهم ربما يلتهمها الطوفان..

في إحدى الشوارع الفرعية، توقف أحدهم يحدث صاحبه مقفلًا الطريق أمامي.. فقلت ماذا أفعل وبوق سيارتي لا يعمل؟..

صرخ ابني راغبًا التبول..

ودون انتباه امتلأت غيضًا بانتظاره وهولا يبالي بسد الطريق..

نظرت إلى ابني وهو يقاوم رغبته بالتبول..

رغبت بالصراخ..

فهل أخرج لأشتمه وألعنه؟، ولكنهم أربعة هو ومن معه في السيارة وصاحبه الذي يحدثه و أنا وحدي..

ربما يجرؤون على ضربي أو يتأذى ابني..

لذا سأطلب منه ذلك بأدب.. أخاف أن يشتمني و ابني بقربي. . سيحرجني ولكن ابني في ضيق.. ابني يريد التبول.. لذا سأصرخ في وجهه وأنهره عن فعله الشائن.. سأترجل و أترك ابني يتبول.. فهم يتبولون أيضا..

التبول هو أن تخرج سمومك وهم يخرجون سمومهم الآن..

هم يتبولون بذاءتهم..

يا ليت بوق سيارتي يعمل وماذا لوكان يعمل فربما كنت أخشى استعماله؟.. وفجأةً سمعت أبواق السيارات خلفي.. صراخ الناس.. ياه لقد ذهب وسائقو السيارات أعلنوا تذمرهم عليّ أنا.. فمضيتُ في صمت..

وتبول ابني في السيارة.

(يوم الانتباه)

لم أنتبه ولم أعرف لماذا لم أنتبه، ولكن أكثر ما أقلقني بل أقلقنا جميعا أن الكل لم ينتبه.

خرجنا في الشوارع مستغربين متسائلين لماذا حدث ذلك؟.. وقررنا أن ننتبه مرة أخرى ولكن للأسف ظللنا على نفس المنوال ولم ننتبه.. لذا تحتم علينا أن ندرس الوضع وأن نتوصل إلى هذه المشكلة وكيفية حلها.

شَكّلْنا لجنة لدراسة مشكلتنا وقرّرنا أن نحتفل بيوم الانتباه..

فأقمنا لجنة لهذا اليوم صممت شعارا له، وقامت بإعداد اللافتات والرايات وجهزت نشيدًا وبرنامجًا استعراضيًا..

وكل ذلك كان يحتاج أموالا فشكلنا لجنة مالية..

واحتجنا إلى لجنة مراقبة وتخوفنا من الدسائس فكوّنا لجنة أمنية..

وكان لزامًا علينا تكوين لجنة مشرفة، للربط بين اللجان وأصر الغالبية أن تكون هذه اللجنة منتخبة وكونا لجنة انتخابات..

مرت الأيام ونحن ننتظر هذا اليوم..

الشعراء نظموا أبياتهم في انتظاره..

زخرت قصص الأطفال بالحديث عنه..

غالبية البرامج الإذاعية مخصصة لتحليله ودراسته..

تهنا في انتظاره وفي انتظار البطل المشهود الذي سينتبه أولا، وصار كل منا يفكر أن ينتبه أولا، ويدس المكائد لغيره كي لا يسبقه.. تكتل البعض من أجل مصالحهم.. تكونت منظمات إجرامية تخدم هذه التكتلات.. اهتم المنتخبون بأن لا ننتبه حتى لا يخسروا مناصبهم.. كثرت الرشوة والواسطة.. عمت الفوضى.. فَسد أمر البلاد.. ذات يوم صرخ البعض بأنهم انتبهوا.. لم يصدقوهم!

اعتقلوهم لمحاولتهم الغش.. صرخ آخرون يدافعون عنهم.. تم اغتيالهم.. استغربت كثيرا مما يحدث..

الشعار أصبح شعارات..

وجوهٌ كثيرة لا أعرفها..

خشيت ممن حولي..

خشيت من الفكرة في رأسي..

خشيتُ أن أنتبه!

(الحنين)

(قصة و اقعية)[1]

تأخرنا كثيرا ودخلنا (بنغازي) بعد الغروب.. لا فرق عند الأغلبية ولكن بالنسبة إلى قاطني حي الهواري "قرب مصنع الأسمنت" الأمر مختلف جدا..

مدخل (بنغازي) مزدحم.. فُتِحَتْ الكثير من المحلات جانب الطريق.. محلات ملابس ومواد منزلية وألعاب.. حلواني بوعشرين فتح فرعًا في الكويفية، وقد وقع فرعان له فريسة الاشتباكات أحدهما بحي الصابري والآخر بشارع عمر بن العاص.. تسير السيارة ببطء وقلبي يدق بسرعة.. كيف نتصرف؟.. قال زوجي: سنذهب اليوم إلى بيت ابن عمي وندخل الهواري صباحا..

توقفنا عند إحدى المحلات.. ترجلنا لشراء بعض المعلبات وفجأة دوى صوت عال.. خرجتُ مسرعةً إلى أبنائي الذين كانوا يصطكّون رعبًا واحتضنتهم.. قال زوجي مستغربا: لا أحد يبالي وكل المارة على حالهم..

---

[1] هذه القصة حدثت معي بدون أي تغيير في تفاصيلها في نهاية شهر أكتوبر ٢٠١٤ وخرجت من بيتي يوم ٢٨ ديسمبر ٢٠١٤.

حينها قال شاب يجلس بجوار المحل: إنها صواريخ جراد تصوب نحو الصابري.. نعرف إنها صواريخ جراد فقاطنو الهواري اعتادوا على كل الأصوات ولكن لم نتوقع سماعها هنا بحي الكويفية، بهذه القوة وكان صوتها مدويا كالحنين الذي يمزقني إربا.

يااااه يا (بنغازي) كيف وَقْعُ هذا الصوت على قلبك؟.. كيف تتناثرين و أنت تحاولين ضم أبنائك كما حدث معي؟.. وكيف لنا أن نضمك؟.. كيف لنا أن نتوحد فيك والوجع يفتتنا؟

لم أنم هذه الليلة..

ولم أبدل ملابسي..

فالحقيبة التي توجد بها الملابس كانت مغطاة بالمواد الغذائية وبعض الأغراض، التي اشتريناها بعد الذهاب إلى المصرف بمدينة البيضاء.. وقد ارتبكت حين اضطر نسيب ابن عم زوجي للذهاب وفسح المجال لنا، وهو النازح من الصابري، على الرغم من احتفاء أهل البيت لكنني كنت مضطربة.. وربما خائفة فتجربة نزوح طيلة ثلاثة أشهر جعلتني اتشبث ببيتي ولكن لا يعني رجوعنا رغم الحرب أن الحرب انتهت فربما نضطر للخروج مرة أخرى.

أشرقت الشمس على أوجاعنا..

سلكنا طريقنا نحو الهواري و أنا التهم الطرقات والحنين يضج بداخلي.. وصلنا إلى جزيرة دوران سيدي يونس.. الجهة التي تتجه نحو الصابري مقفلة.. وعلى الرغم من أنها ليست وجهتي.. لكنني بكيت..

عبرنا حي سيدي يونس والوحيشي وأرض الحراسة، حتى الطريق السريع إلى بوهديمة.. توقف زوجي لشراء الخبز وأنا أخبره بأن الوضع هنا مختلف جدا.. فالسكن وسط الأحياء الشعبية يختلف عن السكن بمزرعة.. هناك لا صوت إلا صوت القنابل حتى المحل الوحيد، الذي كان يفتح أبوابه أقفل بعد تهديده من الملثمين.. ولكننا لا زلنا مصرّين على البقاء فتجربة النزوح مريرة جدًّا والحنين إلى هدوئنا قاس جدا..

عند إحدى البوابات ببوهديمة سألنا الشاب محذرًا إيانا: هل تذهبون إلى الهواري؟.. انتبهوا فالوضع خطير.. يجب أن تخرجوا.. قدم إلينا شاب آخر وقال: لا يمكنكم الذهاب جهة مستشفى الهواري فهناك اشتباكات.. ربما يمكنكم المرور من سيدي فرج وأردف أتمنى أن لا تفعلوا.. قال زوجي: أهلي بالداخل. ومضينا..

هذا الخبر كان صاعقًا.. جعل قلبي يصطك كما حدث مساء الأمس مع أبنائي.. نمشي ببطء على الطريق وكأننا نمشي على بيضة ديناصور نخشى أن يفقس في أي لحظة ويلتهمنا..

خرجنا من بوهديمة على يميننا شارع الشرطة العسكرية، مررنا بقصر عبدو إسماعيل.. سيارة واحدة لمحناها من بعيد وتوجهنا حتى وصلنا إلى مفرق المثلث.. كنا مضغة للقلق وهناك تقابلنا مع سائق شاحنة لنقل المياه.. وجه لنا سؤالًا عن الطريق التي قطعناها، ثم نبّهنا إلى عدم الذهاب حتى بوابة مالك وأن نسلك الطريق نحو مدرسة شهداء الهواري فقرب البوابة يوجد قناص..

يوجد قناص..

هذا القناص يا أولادي ليس بألعاب البلاي ستيشن، يصيبكم وتصيبونه وتضحكون قرقرةً.. أو في شاشة التلفاز بإحدى الأفلام الهوليودية يخلع بعدها الممثل أرديته الملطخة باللون الأحمر ويدخن غليونه.

جعلنا الأولاد يستلقون.. وَضَعْنا فوقهم أغطيتهم ووسائدهم.. وحتى حقائبهم ومضينا.. وها أنا أسلخ نصي من قلبي حتى أنسج بعض الرعب الذي اعتراني.. كنت أتلفت يمينًا وشمالًا وزوجي يطالبني بخفض رأسي..

آآآآه يا رأسي كيف تحتمل؟.. كيف لم تتفجر بعد، قبل أن تكون فريسةً للقناص؟

وصلنا..

هل كان وصولنا إلى بيتنا هو الخلاص؟!

فالاشتباكات لم تتوقف وحياتنا على حافة النفير.. أكثر من شهر ونحن نراقب الموت يتجول حولنا.. نخرج للتبضع إلى قرى مجاورة عبر طرق ملتوية.. هي أيضا محفوفة بالمخاطر وحشرجة الحنين لا تتوقف بداخلي..

الحنين إلى الشارع..

الحنين إلى أهلي..

الحنين إلى (بنغازي)..

الحنين إلى ليبيا..

كتبت في شوقي للوطن (مشتاق لك يا وطن وشوقي كابر. عيوني سكنها المزن وماني صابر)[1]...

وكلما أتوغل معكم في سردي، يصبح نصي أكثر شراسة ويصبح حنيني أكثر تهورا.

بدأت الاشتباكات تزداد ضراوة والقلق أيضا، فعلى الرغم من الأدوية التي خزنتها، كنا نخشى وقوع أي طارئ ونشعر بالذنب حيال أبنائنا وأصوات الآليات بدأت تقترب، ولا ملاذ سوى الهرب من ملاذك وقد تسرب الخوف إلى كل الجيران.

بالمنطقة يوجد القليل من الأسر..

تغيبُ الكهرباء أحيانا ليومين وننقطع عن الأخبار..

بدأت الأصوات تزداد شراسة و اقتربت الدبابات.. ولأول مرة أدرك قول الفنان محمد حسن: (الخاطريا سمح الصفات – يحن حنين الدبابات).

وآآآآه من الحنين بعد مضي أكثر من سنة، وأنا اتنقل من بيت إلى آخر.."الحنين ندبة في القلب وبصمة بلد على جسد.. لكن لا أحد يحن إلى وجع أو كابوس، بل يحن إلى ما قبله، إلى زمان لا ألم فيه سوى ألم الملذات الأولى، التي تذيبُ الوقت كقطعة سكر في فنجان شاي"[2].

---

[1] أغنية مشتاق لك يا وطن. كلمات: رحاب شنيب. ألحان: أماني. غناء: شهد.

[2] الشاعر محمود درويش.

كتبتُ هذه القصص، في الفترة بداية شهر يناير ٢٠١٦ حتى نهاية شهر مارس ٢٠١٦ بمدينة (بنغازي) حيث كنت لا أزال نازحة منذ خروجي من بيتي نهاية شهر ديسمبر ٢٠١٤ وتنقلت بين مدينتي شحات وسوسة، ثم رجعت إلى (بنغازي) واستأجرت بيتا في حي بوهديمة حيث أنهيت المخطوط.

ما عدا قصتي الرائحة والانتباه، فقد كتبت بداية سنة ٢٠١٤.

رحاب شنيب.

الفهرس

١- الذبابة.	١٣
٢- لا أحب البطيخ.	١٧
٣- العالم ذبابة حطت على أنفها.	٢٣
٤- الرائحة.	٢٧
٥- فنجان قهوة.	٣١
٦- هو أنت مسيحي؟	٣٣
٧- فيلم أكشن.	٣٩
٨- أربعطاش ونص.	٤٣
٩- الرقعة.	٤٧
١٠- حلقٌ جاف.	٥١
١١- الوساوس النذلة.	٥٣
١٢- الافتراق.	٥٩
١٣- المطب.	٦١
١٤- حقنة وريد سامة.	٦٥
١٥- التبول.	٦٧
١٦- يوم الانتباه.	٧١
١٧- الحنين.	٧٣

الكاتبة في سطور

- رحاب عثمان شنيب.
- من مواليد ٨ يوليو١٩٧٤ م.
- درست علم الصيدلة بجامعة (بنغازي) (العرب الطبية سابقا)
- تكتب الشعروالقصة.
- صدرلها:

- الفستان الأبيض "قصص قصيرة" عن مجلس الثقافة العام سنة ٢٠٠٦.
- سكْرة الحياة "قصائد" عن وزارة الثقافة والإعلام سنة ٢٠٠٨
- انكسار الضوء "قصص قصيرة" عن وزارة الثقافة والإعلام سنة ٢٠١٣
- النزف قلقا "قصائد" عن وزارة الثقافة والإعلام سنة ٢٠١٣
- نشرت نتاجها في العديد من الصحف والمجلات والمواقع الإليكترونية.
- أعدت وقدمت العديد من البرامج المسموعة المحلية.

medadrehab@yahoo.com
medadrehab@gmail.com
rehabshenib.rehabshenib@facebook.com

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017